الرسالة

(أفسس ٢: ١٤–٢٢)

يا إخوةُ إنَّ المسيحَ هو سلامُنا هو جعلَ الإثنين واحداً ونَقَضَ في جسدهِ حائطَ السِّياجِ الحاجزَ أي العداوة* وأبطلَ ناموسَ الوصايا في فرائضِهِ ليخلُقَ الإثنين في نفسِه إنساناً واحداً جديداً بإجرائه السلام* ويُصالحَ كلَيهما في جسدٍ واحِدٍ معَ اللهِ في الصليبِ بقَتلهِ العداوةَ في نفسِه* فجاءَ وبَشَّركم بالسلامِ البعيدينَ منكم والقريبين* لأنَّ به لنا كلينا التوصُّلَ إلى الآبِ في روحٍ واحد* فلستُم غرباءَ بعدُ ونُزَلاءَ بل مواطنو القديسيَن وأهلُ بيتِ الله* وقد بُنيتم على أساسِ الرسلِ والأنبياءِ وحجرُ الزاويةِ هو يسوعُ المسيح نفسُهُ* الذي به يُنسّقُ البُنيانُ كلُّهُ فينمو هيكلًا مقدَّساً في الربِّ* وفيه أنتم أيضاً تُبنون معاً مَسكِناً لله في الروح.

تقديم الذّات

تعيّد كنيستنا المقدّسة في الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني لعيد دخول والدة الإله إلى الهيكل، حيث سكنت من عمر الثلاث سنوات إلى حين اختيارها والدةً لخالق الكلّ.

يعود تقليد هذا العيد إلى القرن الميلاديّ الثاني وتُستقى غالبيّة المعلومات عنه من مؤلَّفٍ منسوب للقدّيس يعقوب أخي الربّ، أو ما يسمّى «إنجيل يعقوب»، وهو من الأناجيل المنحولة.

لقد قدّم الوالدان يواكيم وحنّة طفلتهما التي رُزقا بها بعد طول انتظار لتتربّى في قدس الأقداس، وفيما بعد قدّمت تلك الطفلة، التي شبَّت في الهيكل، ذاتها لتكون أمةً للربّ وتحمل من لا يسعه الكلّ في حشاها البتولي؛ فماذا يمكننا أن نتعلّم من هذين الوالدَين ومن طفلتهما الدّائمة البتوليّة؟

إذا تعمّقنا في سيرة حياة القدّيسَين يواكيم وحنّة جدَّي المسيح الإله نرى أنّهما عانيا الأمرَّين بسبب العقم، إذ إنّ المجتمع اليهوديّ كان يعتبر العقم قصاصًا من الله، فنقرأ في سفر التكوين كيف غضب يعقوب على راحيل قائلًا: «ألعلّي مكان الله الذي منع عنكِ ثمرة البطن» (تك ٣٠: ٢)، أي إنّ الله هو الذي يغلق الرّحم وهو الذي يفتحه (تك ٢٩: ٣١). مع هذه المعاناة، لم يبخل هذان الوالدان بأن يهبا ابنتهما للهيكل بعدما رُزقا بها بثلاث سنوات. في أيّامنا هذه، يصلّي غالبيّة الأهل، حتّى أولئك الذين رزقهم الربّ عددًا كبيرًا من الأولاد، حتّى لا يأتيهم أحد أبنائهم طالبًا أن يصبح كاهنًا أو راهبًا. لقد قدّم القدّيسان يواكيم وحنّة أغلى ما كانا يملكان، أي ابنتهما، فاستأهلا فيما بعد أن يصبحا «جدَّي المسيح الإله»، وهكذا يكون الله قد رفعهما بعدما حطّمتهما التقاليد والمعتقدات البشريّة.

العدد ٢٠١٥/٤٦
الأحد ١٥ تشرين الثاني
تذكار الشهداء المعترفين
غورياس وصاموناس
وآفيفس (حبيب)
اللحن السابع
إنجيل السَحَر الثاني

بدورها، قدّمت مريم العذراء ذاتها لتكون «مسكنًا إلهيًّا» و«إناءً للنور الإلهيّ الذي لا يُدنى منه» و«حُجرة الله المتنفِّسة» (من صفات والدة الإله الواردة في خدمة العيد). لقد عاشت عدّة سنوات في الهيكل تصلّي وكان الله يَعولها. أمّا نحن، كم من المرّات وضعنا أنفسنا بين يدي الربّ بالكليّة من دون أن نهتمّ بكلّ أنواع الاهتمامات الدنيويّة؟ كم من شبابنا وشابّاتنا اليوم هم على استعداد

لتقديم ذواتهم لخدمة الربّ؟ هل نربّي أبناءنا على محبّة الله والقريب أم على محبّة الذّات واللذّات؟ إنّنا نرى شبابنا في كلّ يوم يسيرون وراء كلّ من يشنّع على الكنيسة وخدّامها مصدّقين كلّ كلمة تُقال حتّى ولو كانت من دون براهين (كما هي غالبيّة تلك الأقاويل)، وفي الوقت نفسه نعاين شحًّا في الدعوات الكهنوتيّة والرهبانيّة، لماذا؟ السبب هو أنّنا لم نتعلّم من العذراء مريم أن نكون «أمة للربّ»، وفقط للربّ.

لقد دخلت العذراء مريم إلى الهيكل، وعاشت فيه، من دون أن تلتفت إلى أيّ أمرٍ سوى إلى الله الذي كان دائمًا نصب عينيها. حتّى عندما أصبحت والدةً للإله نجدها تنظر إلى ابنها الموضوع في المذود، والذي يبشّر في الهيكل، والمصلوب... كما نجدها تحثّ الآخرين على سماع كلامه، مثلما حدث في عرس قانا الجليل مع الخدّام. فالمؤمن الحقيقي، إذًا، لا ينظر سوى باتّجاهٍ واحد، أي نحو الربّ ويتعلّم منه كيف يصلب ذاته مقدّمًا إيّاها من أجل الآخرين تمامًا كما فعل الربّ يسوع على الصليب، وكما فعل القدّيسان يواكيم وحنّة عندما تخلّيا عن ابنتهما من أجل أن تخدم الله في الهيكل، وكما فعلت العذراء مريم عندما قبلت أن تكون أمًّا عذراء.

في عصرنا، ثمّة أمور كثيرة تحوّل نظرنا عن الربّ إذ أصبحنا نهتمّ أكثر بما نلبس وبأيّ هاتف نقّال نحمل بين أيدينا وكيف ستظهر صورتنا على مواقع التواصل الإجتماعي وبأيّ مطاعم نأكل وكيف نكون أفضل من الآخر، كلّ هذا بدلاً من أن نتساعد نحن والآخر لنصل معًا إلى الأفضل، أي إلى الربّ.

في النّهاية، دعونا نضع والدة الإله مثالاً أمامنا نحتذي به، كما نضع المسيح المصلوب أيضًا نصب أعيننا، حتّى نتذكّر دائمًا أنّ تقديم الذّات لا يكون سهلاً بل يترافق مع الألم ويحتاج إلى صليب نصلب عليه ذواتنا عن كلّ ملذّات العالم حتّى نستطيع أن نرث الملكوت الآتي مع الأبرار والصدّيقين.

إنجيل ربّنا يسوع المسيح

نعرف أنّ جوهر البشارة في العهد الجديد يقوم على سرّ تجسّد الإله الكلمة. لم يفلح آدم الأوّل في تحقيق الغاية من خلقه. بعد الخطيئة أُقفِل باب الخلاص والقداسة أمامه. لكن، كلّ ما فشل آدم القديم في تحقيقه، يبشّرنا الإنجيل بأنّ آدم الجديد أكمله.

«الكلمة صار جسدًا، وحلّ بيننا ورأينا مجده مجد وحيد للآب مملوءًا نعمة وحقًّا» كما نقرأ في إنجيل يوحنّا (١: ١٤)، وهذا الكلمة الصائر جسدًا يقول على الصليب «قد أُكمِل» (١٩: ٣٠).

الكلمة – المسيح أصبح الطريق الذي ينبغي للإنسان سلوكه. هذا الطريق، الذي هو بالنسبة إلى الإنسان إرتقاءٌ إلى السموات، كان بالنسبة إلى المسيح تنازلاً، وافتقارًا، وإفراغًا كاملاً للذات: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفّعه الله أيضاً وأعطاه إسماً فوق كل إسم» (في ٢: ٥–٩).

عندما حضر المسيح إلى الأرض، قليلون قبلوه. يقول بولس الرسول

الإنجيل

(لوقا ١٠: ٢٥–٣٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ ناموسيٌّ وقال مجرِّباً له يا معلّمُ ماذا أعملُ لأرِثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال له ماذا كُتِبَ في الناموس. كيف تقرأُ* فأجابَ وقال أحببِ الربَّ إلهَكَ من كلِّ قلبِك ومن كلِّ نفسِك ومن كلِّ قدرتِك ومن كلِّ ذهنِك وقريبَك كنفسِك* فقال له بالصواب أجبتَ. إعمَلْ ذلك فتحيا* فأراد أن يُزَكّيَ نفسَهُ فقال ليسوعَ ومَن قريبي* فعاد يسوعُ وقال كان إنسانٌ منحدِراً من أورَشليمَ إلى أريحا فوقع بين لصوصٍ فعَرَّوهُ وجرَّحوهُ وتركوهُ بين حيٍّ وميتٍ* فاتَّفق أنَّ كاهناً كان منحدِراً في ذلك الطريقِ فأبصرَهُ وجاز من أمامِهِ* وكذلك لاويٌّ أتى إلى المكانِ فأبصرَهُ وجاز من أمامِهِ* ثمَّ إنَّ سامِريًّا مسافِراً مرَّ بهِ فلمَّا رآهُ تحنَّن* فدنا إليهِ وضَمَّدَ جراحاتِهِ وصَبَّ عليها زيتاً وخمراً وحملهُ على دابَّتِهِ وأتى به إلى فُندقٍ واعتنى بأمرِهِ*

وفي الغدِ فيما هو خارجٌ أخرَجَ دينارَيْن واعطاهما لصاحِبِ الفندقِ وقال له اعتَنِ بأمرِهِ. ومهما تُنفِقُ فوقَ هذا فأنا أدفَعُهُ لك عند عودتي* فأيُّ هؤلاءِ الثلاثةِ تَحسَبُ صار قريباً للذي وقع بين اللصوص* قال الذي صَنَعَ إليهِ الرحمة. فقال لهُ يسوعُ إمْضِ فاصْنَعْ أنتَ أيضاً كذلك.

تأمل

«ونقض في جسده حائط السياج الحاجز أي العداوة... ويصالح كليهما في جسد واحد مع الله في الصليب».

لقد تأنّس ابن الله لكي يُعيد الإنسان إلى ما كان عليه قبلًا. فقد كان خلقه على صورته، عاقلًا وحرًّا، وكمثاله، أي كامل الفضائل على مقدور طبيعة الإنسان. هذه الصفات هي بمثابة سماتٍ للطبيعة الإلهيّة وهي التنزُّه عن الهمّ والاضطراب والتشويش مع الصلاح والحكمة والعدل والتحرّر من كل شرّ. وعليه كان الله قد أقام الإنسان في شركته ـ فإنّه لمّا خلقه بمعزل عن إنه كان «لليهود عثرةً ولليونانيين جهالةً» (١كو ١: ٢٣). عندما سأله قيافا: «هل أنت المسيح ابن المبارك؟»، أجابه الربّ يسوع: «أنا هو» (مر ١٤: ٦١–٦٢). من ردّة فعل قيافا عندما مزّق ثيابه، نفهم كم أنّ الإجابة كانت مستفزة لليهود، جواب الربّ يسوع كان عثرة كبرى لليهود. أمّا لليونانيين فقد كان جهالة، بسبب عدم إمكانهم القبول بأنّ الإله الفائق المعرفة وغير المنظور وغير المدرَك، الكليّ القدرة والعلم، الحاضر في كلّ مكان، يتّخذ جسدًا وصورةَ المائت الضعيف والمتألّم، ويولد من امرأة... كلّ هذه الأمور بدت عبثيّة في أعين اليونانيين.

لا بدّ من الملاحظة بأنّ المعلّمين المسيحيين وآباء الكنيسة احتاجوا إلى فترة زمنيّة غير قصيرة قبل صياغة العقيدة التي يوضحون فيها بأن المسيح إله تام وإنسان تام.

في القرن الثاني، أشاعت جماعة عُرفت ب «الدّوكيتيّين» أنّ المسيح لم يتّخذ كياناً بشريًّا، بل ما يشبه الهيئة البشريّة، وتاليًا لم يكن ليتألّم ويموت إلاّ بشكل ظاهريّ (أي إنه شبّه به)، لأنّ الله غير خاضع للألم، كما أنّ الجسد بالنسبة إليهم هو خاطئ وشرّير وينحلّ في التّراب.

أمّا طرف النّقيض فقد عبّرت عنه جماعات متطرّفة مثل الآريوسيّة التي نفت لاهوت (ألوهة) المسيح، والتي لا تعتبر المسيح إلهاً حقاً بل كائناً مخلوقاً.

لكن أين نجد المسيح الحقيقي؟

المسيح الإله الإنسان يُستَعلَن لنا فقط عندما نصدّق إنجيلَه ونؤمن به من حيث هو استعلان للحقيقة الإلهيّة. لا يخضع الإنجيل لمنطق بشري، بل هو سرّ وأعجوبة في ذاته. أسفار الإنجيل تشهد لألوهة المسيح، كما تشهد لوجود الملائكة والشياطين، وتضع العقل البشري أمام خيار من إثنين: إمّا الإيمان عبر الخضوع للوحي الفائق العقل، والذي هو إلهي، أو بكلّ بساطة إغلاق الكتاب طالما أنّه يباين المنطق العام. وهكذا، منذ بداية الإنجيل، نتعلّم عن البشارة وعن الميلاد وتجارب الربّ... وغير ذلك من الأحداث العجائبيّة.

منذ الصفحات الأولى، يستعلن المسيح إلهًا وإنسانًا معًا. كلّ أقواله وأفعاله، مع كونها بشريّة، إلاّ أنّها تحمل ختم الألوهة. هناك دومًا علامات فارقة ترافق المسيح، من قبل ميلاده، طيلة مسيرته، وبعد قيامته من بين الأموات.

يُعلِن الإنجيل من غير شكّ ألوهيّةَ المسيح وناسوتَه كليهما. ومع أنّ الكتاب موحىً من الله، إلاّ أنّه كُتِبَ من محرّرين بشريين، أحياء، يصف كلٌ منهم الأمور كما تمكّن من رؤيتها وتفسيرها، أو كما سمعها من شهود عيان. بعبارة «وحي إلهي» أو «إلهام إلهي» نعني عملاً خلاّقًا يساهم فيه البشر بتناغم مع الروح القدس. إنه نوع من التعاون والتعاضد والتآزر (Synergy).

الفروقات بين الأناجيل الأربعة لا تعني أيّ تناقض، بل وحدة وأصالة. لو كانت تفاصيل السرد كلّها في الأناجيل الأربعة متّحدة، كان الأمر سيعني حتماً عدم موضوعيّة المحرّرين، وانحيازهم إلى رواية واحدة.

الأناجيل تتكامل. وَحدَهُ إنجيل يوحنّا يختلف عن بقيّة الأناجيل من حيث الخطّة الروائيّة ولكن ليس من حيث الحبكة الروائيّة. الأناجيل الثلاثة الإزائيّة (متى ـ مرقس ـ لوقا) تعرض تسلسلًا زمنيًّا للأحداث، بينما الإنجيل الرابع يركّز على أحداث بعينها تحمل مضمونًا لاهوتيًّا يتمّ تسليط الضوء عليه. ففي البداية يتكلّم على المسيح من

حيث هو نور، ثمّ على ماء الحياة، ثمّ خبز الحياة.

خلاصة القول أن الإنجيل هو كتاب الحياة الذي يقدّم لنا المسيح ويدعونا لنقبله ربًّا ومخلّصًا، عسانا نحيا في نوره ونصير بدورنا أبناءً لله وورثة لملكه الأبدي الذي لا يفنى.

سر الإفخارستيا

«كلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يأتي» (١ كور ١١: ٢٦).

+ على الخبز قال الرب: «هذا هو جسدي»، وعلى الخمر: «هذا هو دمي»، لكيلا تتوهم فتظنّ أنّ الأمر الظاهر ليس سوى صورة، بل لكي تعتقد بثباتٍ أنّ القرابين المقدَّمة قد تحوَّلت حقًّا إلى جسد المسيح ودمه (القديس كيرلس الإسكندري).

+ لكي ننزع إلى الوحدة مع الله وفيما بيننا، ولكي نمتزج معاً، حتى ولو كنّا نشكّل جميعاً أفراداً متميّزين لجهة النفوس والأجساد، هيّأ الإبن الوحيد وسيلةً استنبطها بحكمته الخاصّة وبمشورة الآب. إذ في تقديسه المؤمنين بذاته فعلاً في جسدٍ واحدٍ هو جسده، عبر الشركة السرية، إنما جعلهم أعضاء في الجسد الواحد (أف ٣: ٦) معه وفيما بينهم. في الواقع، مَن تُراه سيفصل ويُبعد عن هذا الاتّحاد الجسديّ أولئك المرتبطين بالمسيح إلى درجة أنّهم واحدٌ معه بواسطة هذا الجسد المقدّس الأوحد؟ ذلك أنّنا نشكّل جسداً أوحد إن كنّا جميعاً مشتركين في خبزٍ أوحد، ولا يمكن للمسيح أن يكون منقسماً. لذلك تدعى الكنيسة هي أيضاً جسد المسيح، ونُدعى نحن أعضاءه، بحسب فكر بولس (١ كور ١٢: ٢٧). كذلك الروح واحدٌ وغير منقسم، هو الذي يجمع بذاته أرواح الجميع، على الرغم من تميّزهم وفقاً لوجودهم الشخصيّ، وهو الذي يُظهرهم جميعاً كما لو كانوا لا يشكّلون فيه سوى كائنٍ واحد (القديس كيرلس الإسكندري).

صوم الميلاد

تبتدئ الكنيسة المقدسة في الخامس عشر من تشرين الثاني صوم الميلاد الذي يمتد لأربعين يوماً نتهيَّأ خلاله لاستقبال ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد.

في هذا الصوم نمتنع عن أكل جميع أنواع اللحوم والحليب ومشتقاته، ويُسمح فقط بأكل السمك ما عدا يومي الأربعاء والجمعة، كما يُسمح بتناول وجبة الفطور صباحاً.

أهّلنا الرب أن نصير هياكل وأواني مقدسة مستعدة لاستقبال الرب في ميلاده بيننا.

دخول السيدة إلى الهيكل

بمناسبة تذكار دخول سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة إلى الهيكل يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الجمعة ٢٠ تشرين الثاني وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح السبت ٢١ تشرين الثاني في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

الفساد قد اجتذبه بشركته إلى عدم الفساد ــ ولكننا بتجاوزنا الوصيّة سوَّدنا سمات الصورة الإلهيّة ومحوناها. ولمّا آلت بنا الحال إلى الشرّ، تجرّدنا من الشركة الإلهيّة، لأنه «أية شركة للنور مع الظلمة» (٢ كور ٦: ١٤)؟... ولمّا صرنا خارج الحياة سقطنا في فساد الموت. ولمّا كان المسيح قد أشركنا بما هو أفضل ولم نحتفظ به، اتخذ هو الأدنى ــ أعني طبيعتنا ــ حتى يُعيد بذاته وفي ذاته تجديد ما كان على صورته وكمثاله وأرشدنا إلى السيرة الفاضلة، جاعلاً إيّاها في ذاته سهلة المنال لنا. وأعتقنا من الفساد بشركة الحياة إذ صار هو بدءَ قيامتنا، وجدَّد فينا الإناءَ المهمَل والمتصدِّع لينقذنا من طغيان إبليس بدعوته إيّانا إلى المعرفة الإلهيّة ويقوّينا ويهذّبنا بالثبات والاتّضاع لنغلب الطاغية.

القديس يوحنا الدمشقي